ARCHITECTURAL HERITAGE IN THE CITY OF NAZARETH DURING THE OTTOMAN
ERA 1517-1918

Hussein MANSOUR¹

Abstract:

This study aims to show the urban aspects of the Nazareth during the Ottoman era 1517 – 1918 in the light of the Ottoman documents and the drawings and pictures of European travelers and its role in its transformation from a small village to an urban city and then a district center. And learn about the interest that the city of Nazareth purified from the Ottoman government in this field. And that is through studying the urban monuments in the city, such as: the houses, Islamic and Christian religious places, the Saraiya, the markets, the khans, Mary's well.

It began with a discussion of historical geography, and I presented the descriptions of Arab and European travelers to Nazareth, then the study touched on the presentation of the architectural style in the city of Nazareth, the presentation of the survey and reconciliation process for some historical monuments in Nazareth, and finally the conclusion.

Key words: Architectural Heritage, The City Of Nazareth, The Ottoman Era.

Istanbul / Türkiye
p. 238-255

Received: 20/11/2021
Accepted: 12/12/2021
Published: 01/01/2022

This article has been scanned by
iThenticate No plagiarism
detected

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.15.18>

¹ Researcher, Mar Elias College – Iblin – Haifa, Palestine, Huseein.mansour@hotmail.com, <https://orcid.org/0000-0003-4459-8019>

الموروث المعماري في مدينة الناصرة إبان العهد العثماني 1918-1517

حسين منصور²

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار الجوانب العمرانية لمدينة الناصرة إبان العهد العثماني 1517-1918 في ضوء الوثائق العثمانية ورسومات وصور الرحالة الأوروبيين ودورها في تحولها من قرية صغيرة إلى مدينة حضرية ثم مركز قضاء. والتعرف على الاهتمام الذي لقيته مدينة الناصرة من الحكومة العثمانية في المجال العمراني. وذلك من خلال دراسة الآثار العمرانية في المدينة مثل: الدور، الأماكن الدينية الإسلامية والمسيحية، السرايا، الأسواق، الخانات، عين العذراء.

وقد بدأت بمناقشة الجغرافيا التاريخية، وعرض أوصاف الرحالة العرب والأوروبيين للناصره، ثم تطرقت الدراسة عرض الطراز المعماري في مدينة الناصرة، وعرض عملية المسح والتوثيق لبعض المعالم التاريخية في الناصرة، وأخيراً الخاتمة. اعتمدت الدراسة في الأساس على سجلات محكمة الناصرة الشرعية ودفاتر الطابو العثمانية والساتنامات وكتابات ورسومات الرحالة الأوروبيين والجرائد والصحف التي صدرت في فترة الدراسة. كما أفادت الدراسة من مجموعة المصادر والمراجع التاريخية ذات العلاقة.

الكلمات المفتاحية: الموروث المعماري، مدينة الناصرة، العهد العثماني.

المقدمة:

تعالج هذه الدراسة الموروث المعماري في مدينة الناصرة إبان العهد العثماني 1517-1918 وانعكاسها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وإظهار عمق الروابط والتغيرات المعمارية التي مرت بها المدينة خلال فترة الدراسة. وذلك من خلال دراسة الآثار العمرانية في المدينة.

تسعى هذه الدراسة إلى إظهار الجوانب العمرانية لمدينة الناصرة، وأثرها في نمو وتطور المدينة وحياة سكانها من خلال الأنشطة الاقتصادية ودورها الإيجابي في نمو وتطوير الجوانب العمرانية، وجعلها مركز هام للنشاط الاقتصادي والاجتماعي، والتي كان لها دور في رسم صورة شمولية لتاريخ المدينة المحلي من خلال هذه الجوانب والتي لم تلق أي اهتمام من قبل الباحثين حتى الآن. كما تسعى هذه الدراسة إلى قراءة للتاريخ المحلي إبان العهد العثماني بعد أن شهدت أوروبا تحولات عمرانية، اقتصادية واجتماعية مهمة أثرت بشكل واضح على جوانب كثيرة من الأوضاع في الدولة العثمانية خلال فترة الدراسة. وقد اهتم الباحثون في الآونة الأخيرة من القرن العشرين بإبراز هذا التاريخ على مستوى مناطق فلسطين كافة.

² باحث، كلية مار الياس، فلسطين، huseein.mansour@hotmail.com

مشكلة الدراسة: The Problem of Study

لعبت الظروف التاريخية الصعبة التي مرت بها مدينة الناصرة إبان العهد العثماني، دوراً كبيراً في تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان والتي أدت بدورها إلى انعكاسها على الموروث المعماري، خاصة بعد ظهور التنظيمات العثمانية (1839-1918) وتطبيقها في فلسطين. رغم هذه الظروف الصعبة فقد تمكن سكان الناصرة من استغلال مواردهم المحلية، فاتسعت المراكز العمرانية وأنشئت الحارات والدور وأماكن العبادة الإسلامية والمسيحية والأسواق والخانات والمدارس والسرايا. مما زاد من إظهار الحركات السكانية وازدياد حركة الحجاج المسيحيين من مناطق مختلفة إلى مدينة الناصرة.

أهمية الدراسة: Importance of Study

تسعى هذه الدراسة إلى سد النقص الحاصل في الدراسات التاريخية عن الموروث المعماري لمدينة الناصرة والتي تم استخدام وثائق عثمانية تتيح وفرة من التفاصيل عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وعن العلاقات بين المدينة والقرى المحيطة بها. كما تحتوي على معلومات غزيرة جداً تعطينا تصوراً دقيقاً للموروث المعماري ودراسة المظاهر العمرانية وأنواعها في الناصرة. كما تظهر هذه الوثائق وجود اختلاف بين دور الأغنياء والفقراء من حيث الحجم والمرافق الملحقة بها والمواد المستخدمة في البناء، وذلك حسب المكانة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية لأصحابها.

منهجية الدراسة: Approach of Study

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي معتمداً التسلسل التاريخي للأحداث والتوازن بين الذات والموضوع وجمع الحقائق والمعلومات من خلال تحليل الرسومات والوثائق لمعرفة كيفية استخراج المعلومات والتأكد من صحتها.

حدود الدراسة: Boundaries of Study

تمثل منطقة الدراسة بمدينة الناصرة التي تقع في وسط الجليل الجنوبي شمال فلسطين، والتي تقع جغرافياً في الجزء الغربي من قارة آسيا.

أولاً: الجغرافيا التاريخية:

التسمية:

الناصرة أكثر المدن قداسة في الديانة المسيحية على وجه الأرض لأنه فيها جرت بشارة مريم العذراء بالحبل من الملاك جبريل بولادة السيد عيسى ابن مريم عليه السلام.

إن مدينة الناصرة عُرفت عند اليهود باسم المدينة البيضاء على الجبل أو المدينة المختبئة أسفل جبل ساعير (الني ساعين). وهناك من يذكر أن معناها المنفصلة، وأم المغر (لكثرة المغاور المحفورة في جبالها وصخورها)، والحراسة (برج الحراسة): ذلك الجبل المنتصب فوق المدينة كالحارس. (سمارة، 1899)

إن اسم مدينة الناصرة الكنعاني القديم هو آبل وقد سُميت أيضاً قديماً بـ "عين آبل" وهي اليوم عين العذراء التي تعني عين الحياة. وقيل معناها الغصن لكثرة غاباتها ونظارة اغصانها في الماضي. وقيل معناها الزهرة الجميلة لأن الناصرة تبدو كالزهرة المتفتحة منخفضة في الوسط والجبال حولها كالأوراق. وسُميت أيضاً مدينة البشارة وسُميت البيضاء لبياض مبانيه

الموقع:

تقع مدينة الناصرة في وسط الجليل الجنوبي، في منتصف الطريق تقريباً بين البحر الأبيض المتوسط ونهر الأردن على خط الطول (35 و 15 درجة) وعلى دائرة عرض (32 و 44 درجة) (عبيد، 2010) في جنوب جبال الجليل الى الجهة الجنوبية الغربية من بحيرة طبريا وإلى الشمال من جبل طابور بالقرب من قرية كفر كنا وإلى الجنوب الشرقي من حيفا وأسفل جبل النبي ساعين. وتمتد على عدة هضاب متقابلة بجانب مرج بني عامر الواقع جنوب الناصرة. وترتفع هضابها في بعض الأحيان إلى ما يقارب 1555 قدم ما يعادل 400 متر فوق سطح البحر. وتُشرف على سهل مرج بني عامر (Petersen, 2001). وتحيط ببقعة مركزية تكاد تكون مستوية وفيها قامت مدينة الناصرة وتفرعت إلى عدة شعاب طويلة ملتوية قامت فيها حارات الناصرة الرئيسية: حارة الروم، وحارة الإسلام، وحارة اللاتين. أشار (Tobler)، إلى أن معظم سكان الناصرة تركّزوا في حاراتها الثلاث: حارة الإسلام ما بين سرايا ظاهر العمر شرقاً وجامع الناصرة غرباً، وحارة الروم شمال عين العذراء حتى باب الخانوق، وحارة اللاتين غرب الخان التحتاني (Tobler, 1868).

من المفيد ان نذكر، كان لموقعها الجغرافي أهمية منذ القدم فكانت بالقرب منها الطريق التجاري الرئيسي البري دمشق- خان التجار- القدس- القاهرة؛ ومن خان التجار- الناصرة- مينائي حيفا وعكا، مما ساعد في ازدهار الناصرة وتطويرها وجعلها موقعاً استراتيجياً للتجارة المحلية والإقليمية فاندجحت في فُلك الاقتصاد الأوروبي خاصة في زراعة القطن وتصديره إلى أوروبا عامة وفرنسا خاصة.

يُحد الناصرة من الغرب التلال الغربية للجليل الأسفل ومن الجنوب مرج بني عامر وجبل الدحي ومن الشرق جبل طابور ومن الشمال جبل سيخ، كما يحدها من الشرق القرى: إكسال، دبوريه، عين ماهل، ومن الغرب عيلوط، معلول، ومن الجنوب يافة الناصرة وقرى مرج بني عامر: سولم، نين، اندور، الناعورة والطيبة. ومن الشمال الرينة وصفورية. (الدباغ، 1974)

نبذة تاريخية:

مدينة الناصرة هي من المدن الفلسطينية القديمة، ترجع في نشأتها إلى عصور ما قبل التاريخ. وقد أظهرت الحفريات التي جرت في مغارة جبل القفزة جنوب الناصرة لوجود هياكل عظمية بشرية تعود إلى الإنسان الأول أي حوالي 40000 إلى 100000 عام. كما دلت الحفريات الأثرية على أن الناصرة كانت مسكونة في العصر البرونزي والعصر الحديدي. (حاكمة، 2005)

تم ذكر الناصرة في العهد الجديد باعتبارها المكان الذي نشأ فيه المسيح. أخذت الناصرة تنمو وتزدهر بعد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، فبنيت فيها الكنائس والأديرة. وبدأ الحجاج المسيحيين يأتون إليها من شتى بقاع العالم للزيارة والتبرك. تم إنشاء أول كنيسة هناك في القرن الرابع الميلادي، وفي القرن الثامن الميلادي كانت هناك كنيسة في المدينة (Peterson, 2001).

دخلت الناصرة ضمن الدولة الإسلامية على يد شرحبيل بن حسنة سنة 635م، فكانت من جند الأردن وكان فيها كنيسة، واحدة عند عين العذراء والأخرى بالقرب من بيت العذراء. وخلال فترة الخليفة هارون الرشيد كان فيها دير واثنا عشر راهباً بالإضافة إلى دير وكنيسة في جبل القفزة فيه 8 رهبان. وكانت الناصرة في هذا العهد مدينة صغيرة وغير هامة، ومعظم سكانها من المسيحيين. (الدباغ، 1974)

استولى الصليبيون على الناصرة سنة 1100م، وقام تنكرد في إعادة بناء المدينة، فبنى الكنائس ونقل مقر الأسقفية من بيسان إلى الناصرة سنة 1108م. وتم بناء ثلاث كنائس، بالإضافة إلى كنيسة البشارة وهي: كنيسة القديس يوسف، كنيسة القديس جبرائيل للروم الأرثوذكس، وكنيسة القديس زكريا. ثم أُقيم نزل للحجاج المسيحيين سنة 1263م بين كنيسة البشارة

وكنيسة الملاك جبرائيل. كانت الناصرة خراباً خلال الحروب الصليبية التي دامت 194 عاماً (1097-1290م)، بعد أن دمرها السلطان بيبرس البندقداري سنة 1263م، (الطراونة، 1982) ثم دمرها السلطان خليل بن قلاوون سنة 1291م، وفي عام 1322م كانت الناصرة قرية صغيرة جداً فيها بعض البيوت المبعثرة هنا وهناك. وفي عام 1350م كانت الناصرة مليئة بالسكان، ومبنية في سهل جميل مليء بالأزهار والورود وتحيطها كالحزام سلسلة من الجبال التي تعطيها حصانة طبيعية ضد الأعداء. (ب.م، 2011) وفي العهد المملوكي (1291-1517) كانت الناصرة بلدة صغيرة تابعة لمملكة صفد، وقد سكنتها عائلات مسلمة، وكانت جميع كنائسها خربة.

اهتم العثمانيون بالناصرة كثيراً، فلم يسكنها في أوائل العهد العثماني إلا المسلمون، منهم حمولة كبيرة اسمها بيت حجير التي كانت من بين العربان التي سكنت في ناحية مرج بني عامر ولواء اللجون، (ب.م، 1989) نزلها بعض المسيحيين عام 1535م. تشير معطيات دفاتر الطابو العثمانية لسنة 1525م، كان يوجد في الناصرة 43 بيت، ارتفع العدد إلى 95 بيت سنة 1539م، وفي سنة 1556م وصل عدد البيوت إلى 217 بيت، وبين السنوات 1566-1576م سكنها 215 عائلة مسلمة، و17 عائلة مسيحية، (Lewis, 1976) تدل المعطيات التي وردت في هذه الدفاتر أن الناصرة منذ بداية العهد العثماني كانت مأهولة بالسكان، وبذلك يكون عدد السكان المسلمين 1075 نسمة، وعدد السكان المسيحيين 85 نسمة، ومجموع عدد سكان الناصرة في تلك الفترة 1160 نسمة.

وفي منتصف القرن السادس عشر رحل إلى الناصرة رجلان من بني المعلوف وسكنا في الجهة الشمالية من المدينة واستأذنا الأمير فخر الدين المعني (1590-1635)، أن يسمح لهم بترميم كنيستها القديمة المعروفة بـ "كنيسة القبر المقدس"، (كنيسة البشارة للروم الأرثوذكس) - كما سمح بجلب عدد من البنائين المهرة الذين ساهموا في بناء الكنائس والأديرة - وهي محل مسكن مريم العذراء. فأذن لهم فرمموها وبنوا ديراً بقرتها. (المعلوف، ب.س) كما تعاطف مع الرهبان الفرنسيين ووضع مغارة البشارة تحت تصرفهم عام 1620م، ووافق أن يقوموا ببناء دير وكنيسة في المكان. وفي البنائين صناعة متقنة، وفي الكنيسة عمودان ضخمان أحدهما مكسور عند وسطه. أما بنو المعلوف فاستولوا على المغارة التي بَشَّرَ فيها الملاك جبرائيل العذراء وهي تستقي من العين، وبنوا لها درجاً.

بدأ النشاط العمراني ينمو في الناصرة في عهد الأمير فخر الدين، فأقام علاقات تجارية مع تجار إيطاليا وفرنسا والبندقية، وسمح لهم ببناء مراكز تجارية فيها. (Petersen, 2001) وصارت الناصرة تنمو وتكبر تدريجياً فشهدت نشاطاً عمرانياً ملحوظاً خاصة بناء الكنائس والأديرة باعتبارها المدينة المقدسة عند المسيحيين الذين حرصوا على زيارتها والحج إليها من مختلف الاقطار، مما أدى إلى انتعاشها اقتصادياً وعمرانياً.

النهضة العمرانية خلال فترة ظاهر العمر الزيداني (1730-1775م) (الدباغ، 1986)

بعد القضاء على الأمير فخر الدين سنة 1635م، حدث فراغ سياسي في مناطق حكمه أدى إلى ظهور قوى محلية منها الشيخ ظاهر العمر الزيداني الذي استطاع ملء هذا الفراغ. وقد شمل حكمه طبرية ثم توسع نحو صفد وعكا، والناصرة، واستطاع فرض سيطرته على الجليل كملتزم للضرائب في الفترة ما بين (1730-1752م)، ثم أصبح حاكم محلي ونجح بإقامة كيان يتمتع باستقلال ذاتي في ظل الدولة العثمانية ولم يعلن انفصاله عنها لكنها سعت للقضاء عليه سنة 1775م. (الصباغ، 1950)

تمتع سكان الناصرة بالأمن والاستقرار في عهد ظاهر العمر، ساهم ذلك في هجرة الكثير من السكان إلى الناصرة قادمين من مدن الدولة العثمانية. كان من ضمن المهاجرين مجموعة من أصحاب المهن والحرف الذين ساهموا بتنشيط وتطوير الحركة العمرانية ونقل الناصرة من قرية صغيرة إلى مدينة حضرية ذات طابع مسيحي واضح ومركز اقتصادي وتجاري هام. وبدأت نهضة عمرانية بين السكان حيث سمح لهم ببناء كنائس وأديرة للطوائف المسيحية: الروم الأرثوذكس، الروم الكاثوليك والموارنة.

احمد باشا الجزائر (1776 – 1804م)

تسلم احمد باشا الجزائر ولاية صيدا سنة 1776م، بعد مقتل ظاهر العمر الزيداني. وقد عانت الناصرة من ركود اقتصادي وعمراني، وعانى سكانها من سياسة الجزائر القاسية إلى درجة أن الكثيرين منهم اضطروا لمغادرة المدينة بعد أن فرض ضرائب باهظة على السكان ونشر الخوف في نفوسهم، بعد وقوفهم إلى جانب نابليون بونابرت في حملته على فلسطين. كما جعل جميع موارد الولاية تحت تصرفه بما فيها أملاك رهبان دير الناصرة.

بعد وفاة الجزائر سنة 1804م، انتقل الحكم إلى سليمان باشا العادل (1804 – 1819م). تميزت فترته بالهدوء والامن والرفاهية، وشهدت الناصرة نمواً اقتصادياً وعمرانياً نسبياً حيث شجع الناس على العودة إلى المدينة. وازداد عدد الحجاج المسيحيين القادمين واستقرار قسم منهم في الناصرة.

صارت الناصرة خلال القرن التاسع عشر مدينة عصرية، ازداد عدد سكانها وتوسعت عمرانها وحيزها العام لتشمل مناطق تجاوزت منطقة كنيسة البشارة.

هناك العديد من العوامل التي ساهمت في التوسع العمراني:

- التحسن في الظروف الأمنية، التحولات الاقتصادية، التكاثر الطبيعي، الهجرة، نشاط المؤسسات الدينية المسيحية وازدياد نشاط الدول الأوروبية في البلاد.
- أقيمت في الناصرة خلال القرن التاسع عشر 12 كنيسة وعدد من الأديرة.
- وأقيمت 7 مدارس جديدة ومستشفين وثلاث دور ايتام. وأقيمت فنادق ونزل للحجاج المسيحيين.
- وصارت المدينة مركز قضاء مهم لبلاد الشام.
- امتازت العمارة في الناصرة بالبساطة الخالية من الزخارف المعقدة، وتأثرت بشكل عام بالنمط المعماري العثماني الذي كان منتشرًا في أرجاء الدولة العثمانية.
- واستخدام المواد الأولية اللازمة، الحجارة والاختشاب المتوفرة في المنطقة، فقد وجد الحجر الأبيض في جبل القفزة الذي يقع جنوب الناصرة. (سمارة، 1899)
- وكانت سطوح المنازل مغطاة بالقرميد الأحمر المرسيلي، مما كان يضفي على بيوت الناصرة جمالاً ورونقاً، فكانت تظهر للناس من بعيد وكأن بيوتها متلاصقة لبعضها البعض. واستخدام البلاط المستورد من دول أوروبية ذي الألوان الجميلة، التي ما تزال تحافظ على جمالها حتى يومنا هذا.

ثانياً: أوصاف الرحالة العرب والأوروبيين للناصره:

قدم إلى الناصرة إبان العهد العثماني (1517 – 1918) عدد من الرحالة العرب والأوروبيين الذين جاؤوا للتعرف على المدينة ومسحها وكتبوا مشاهداتهم وملاحظاتهم. فقد أعطوا وصفاً للمناطق التي زاروها خاصة فيما يتعلق بمواقع المدينة الاثرية والمقدسة والسكان وأعدادهم وعاداتهم وتقاليدهم وظروفهم الاقتصادية والاجتماعية.

أظهرت رحلات الرحالة الموروث المعماري للناصره إلى حيز الوجود، حيث لم تكن للناصره أهمية في الأزمنة القديمة ولم يرد لها ذكر في مختلف مصادر تلك العهود. وأول ذكر لها في الكتاب المقدس العهد الجديد. ففيها بُشِّرَت مريم العذراء بأنها ستكون أم المسيح، وهي مقدسة عند المسيحيين فيها نشأ وقضى معظم حياته.

أخذت الناصرة تنمو وتتقدم بعد تنصير الملك قسطنطين (306 – 337م)، فبنيت فيها الكنائس والأديرة وأمّها الكثيرون للزيارة والتبرك ببقاعها. (الدباغ، 1974)

زار الرحالة العرب والمسلمين الناصرة ووصفوها بأنها قرية من بلاد اللجون من أعمال جند الأردن، وعدها شيخ الربوة والعمرى والقاضي العثماني من ولايات المملكة الصفدية، بها دار مريم ابنة عمران ومقام الأربعين في جبل عال. كما زارها محمد بن عبد الجواد القاياتي ووصف محل إقامة المسيح وأمه السيدة مريم. وعلى هذا المحل دير كبير للنصارى ومغارة فيها موضعان منقوران من الجبل متصل أحدهما بالآخر. وأما البناء الذي فوقهما في الدير والكنيسة، فهو في غاية الزخرفة والتزيق بالنقوش والمعادن الذهبية والفضية وغيرهما. كما زار القاياتي دار حضرة الشيخ يوسف الفاهوم وأنجاله وأعمامه فوجدوا عالية المباني كاملة المعاني، مفروشة بالرخام، وفيها ديوان مشيد مسقوف بالقرميد، وفي أطواقه وشبابيكه أنواع الزجاج في نضارة تامة وابتهاج، وفيه حمام ظريف وجملة أود (غرف) فيها التخوت والسرر والناموسيات معدة للمسافرين والضيوف. (الوعري، 2014)

ظهرت الناصرة في العديد من كتب الرحالة الأوروبيين خلال الفترة الإسلامية التي وصفت المدينة وأظهرت آثارها، حيث قاموا بأعمال البحث والتنقيب في الكنائس والأديرة وأرفقوا وصوفاتهم برسومات تقريبية لمخطط المدينة، منهم: (ب.م، 2011)

سي وولف Caewulf، الذي زارها سنة 1102م وقال: أن في المدينة دير جميل يدل على مكان البشارة، ويوجد خارج المدينة نبعة ماء جارية ما زالت محاطة مثل السابق بأعمدة من الرخام. زار الرحالة الروسي دانييل الناصرة سنة 1108م، وقد وصف البيت الذي عاشت فيه السيدة مريم العذراء حيث قال: "في وسط المدينة شُيّدت كنيسة كبيرة مرتفعة، وعند دخولك هذه الكنيسة ترى عن يسارك ما يشبه المغارة "الكهف الصغير"، وهي عميقة ومن أمامها يوجد ما يشبه معبد". ولهذا المغارة بابان واحد عن جهة الغرب وآخر عن جهة الشرق وإذا "ما نزلت"، بعض الدرجات فسترى في جهة الباب الغربي عن اليمين صومعة. وفي هذه الصومعة عاشت مريم العذراء ولهذا الصومعة عدة أبواب صغيرة وهنا أطمعت العذراء السيد المسيح في هذه الغرفة وهنا أيضاً مرقد المسيح". (محاميد، 1989)

جوناس فوكاس Joannes Phocas، زار الناصرة سنة 1185م وقال: أنها غير مأهولة بالسكان، وبعد أن تدخل القرية الكبيرة من بوابتها الأولى تجد كنيسة الملاك جبرائيل، والتي تشاهد فيها مغارة صغيرة موجودة على الجانب الأيسر من مذبح الكنيسة، وفيها أيضاً نبعة ماء جارية حيث كانت مريم الطاهرة تنشل الماء منها. كما أشار الرحالة بورشارد دي ماونت سيون Burchard De Mount Sion، يوجد في الناصرة بعض الآثار الدالة على مكان البشارة: ثلاثة مذابح محفورة في الصخور في الكنيسة القائمة مثل بيوت المنطقة المتواجدة في المغر والكهوف. والكنيس اليهودي الذي أصبح كنيسة. وفي نهاية البلدة توجد كنيسة الملك جبريل وبالقرب منها نبعة ماء يقدسها السكان. (ب.م، 2011) وهناك الرحالة السير جون ماند فيل أشار سنة 1322م، أن الناصرة كانت في السابق مدينة كبيرة وعظيمة، ولأنها الآن قرية صغيرة جداً، وفيها بعض البيوت المبعثرة هنا وهناك. (ب.م، 2011)

أما الرحالة ريتشارد جاي لغور دي Sir Richard Guylforde، وصف الناصرة سنة 1506م، بأنه كانت فيها كنيسة جميلة أهدمت ولم يبق منها إلا مصلى صغير يقف على كهف البشارة. كان هذا المصلى جزء من الكنيسة التي هي الآن (1506م)، بحالة خراب وفي هذا المصلى عمود من الرخام. (ب.م، 2011)

وصف أحد الرحالة الناصرة سنة 1621م، بأنها قرية في سفح جبل في مكان فيصح المنظر في وادٍ ضيق تحيط به الجبال. وفيها 30 بيتاً منها 28 للمسلمين و2 للمسيحيين. (منصور، 1924) كما وصف الفارس دارفيو الناصرة سنة 1659م، وفيها دير رهبان الأرض المقدسة، وبقايا الكنيس الذي يُدعى أن المسيح وعظ فيه. (الصباغ ل.، 1996) وفي أواخر القرن الثامن عشر

زارها الرحالة فولني وقال عنها: "الناصره ذات الشهرة العالمية، سكانها ثلثهم مسلمون والثلثان مسيحيون. ولآباء الفرنسيين سكان فيها نزل ومعبود".

كما وصف الناصرة الرحالة بيركهارت سنة 1812م، عندما زارها ونزل في دير إرساليات الأرض المقدسة، ودير الفريز (الأخوية اللاتينية)، وهو عبارة عن بناية واسعة، رمت عام 1730م بكاملها ووسعت إلى حد كبير، وفي داخلها كنيسة البشارة التي تبدو فيها البقعة التي وقف عليها الملاك جبرائيل حين أعلن لمريم العذراء الأنباء السارة عن حملها بالمسيح عليه السلام. والكنيسة من أروع الكنائس التي شاهدها في سورية، وتأتي في المرتبة الثانية، بعد كنيسة القبر المقدس (كنيسة القيامة) في القدس. وتوجد ضمن أسوار الدير حديقتان ومقبرة صغيرة. والأسوار سمكية جداً، ويمكن استخدامها كحصن يلجأ إليه جميع مسيحيي البلدة. ويقع حالياً (1812م) في الدير أحد عشر راهباً. (الدباغ، 1974)

وصف باكنغهام J.S. Buckingham الناصرة سنة 1816م، أهم المباني الرئيسية العامة في الناصرة هو المسجد الذي يبرز بوضوح، فهو مبنى أنيق وجميل جداً، وله خمس قناطر مقوسة على الجوانب، ومحاطة بجدار مبني بشكل جيد، وله قاعة مفروشة يتوسطها مئذنة طويلة تنتهي بهلال بارز يرتفع في وسط القرية، ويمكن مشاهدته من بعد كأنه يعلن للقادمين سيطرته على الناصرة. والطائفة الارثوذكسية لها كنيستهم في سفح جنوب الجبل الشرقي للناصره. والموارنة لهم كنيسة أمام دير الفرنسيين، وهذا الدير من أكبر وأوسع الأديرة التي شاهدها في بلاد الشام، وأكبر من تلك الموجودة في أزمير والقاهرة والإسكندرية. (ب.م، 2011)

وصفت ماري إليزا روجرز الناصرة عندما زارتها سنة 1855م، كان هذا السطح عالياً ويطل على مشهد ساحر للبلدة، يتوسطه الجامع بمئذنته المحاطة بأشجار السرو الباسقة ولونها الداكن، ومباني الدير الواضحة المعالم في الحي المسيحي. وبدت البيوت المربعة والأسطح المستوية المبنية من الحجر الأبيض نظيفة ومتألقة. أما المدينة القديمة فقد بنيت على ربوة، بينما زحفت الناصرة الجديدة غير المحاطة بالأسوار، تدريجياً باتجاه الوادي الذي انتصبت في بطنه مبان وبيوت أحدث وأكبر. ثم تابعت وصفها خلال زيارتها لكنيسة البشارة الكاثوليكية فقالت: فعبرنا الصحن الواسع للكنيسة. خصص أحد جانبيه للرجال والأولاد الحاسري الرؤوس، والجانب الآخر للنساء الراكعات على الأرضية الرخامية في صفوف متتالية، نزلنا لدى إنهاء الحفل لرؤية مغارة مريم في الطابق السفلي تحت المذبح المرتفع للكنيسة مباشرة. جلّست على الدرج العريض المؤدي للمغارة بنات عربيات صغيرات، فتابعنا نزولنا إلى المذبح في مغارة السيدة العذراء، وهو مبني من المرمر الأبيض الصرف، ومنقوش بمهارة وإتقان ولكن بتصميم فج من زخرفة الركوكو (الزخرفة الغير منتظمة)، وعلى مقربة من هذا الموضع، انتصب جزء من عامود الجرانيت ركناً من أركان الغرفة التي وقفت فيها مريم عندما ظهر لها الملاك جبرائيل، أوحى قطع قماش الملون التي غطيت بها جدران الكنيسة بأنها كانت سجاجيد حائطية مزخرفة، يوجد في ساحة الدير أجزاء وشظايا من الحجر المنحوت لعمود قديم تستخدم في الجدران الأحدث عهداً. (روجرز، 2013)

وصف محمد رفيع بك ومحمد بهجت بك الناصرة أواخر العهد العثماني، هي مبنية على السطح المائل الجنوبي من جبل الشيخ (جبل النبي ساعين)، وهي جميلة المنظر جداً أيام الربيع بدورها البيضاء الناصعة وطبقاتها وسطوحها المستوية بالآجر (القرميد) وبأشجارها وبجنانها وكرومها الزمردية. وأخذت تمتد بخطى واسعة نحو الشرق والغرب ولا تتجاوز دور أبنية الناصرة ألفاً وخمسمائة بناء، فإن جميع الدور في القصبة (الناصره) مبنية على الطراز الجديد يدخلها الضياء والهواء. ويجدر بنا أن نسمي الناصرة (البلدة البيضاء)، لأن الأقسام الخارجية من الدور مبنية بالأحجار المالطية المنحوتة. وترى أخشاب النوافذ الملونة كأنها أزهار مفتحة. وفي الناصرة دور مبنية من طبقتين ولا شبهة أنها مبنية على طرز شائق جداً". (بك، 1987)

ثالثاً: الطراز المعماري في الناصرة:

كان العصر الذهبي للعمارة في الناصرة قد بدأ في عهد ظاهر العمر الزيداني، حيث تم تنفيذ عدد من المشاريع العمرانية مثل: الكنائس والأديرة والسرايا والبيوت والمباني الجديدة، مما أدى إلى تزايد عدد السكان سعيًا إلى الأمن والاستقرار، وهجرة عدد من الحرفيين والتجار وأصحاب المهن، بعد أن انحالت الأموال من الدول الأوروبية على الناصرة باعتبارها مدينة مقدسة للمسيحيين التي ساهمت في بناء مؤسسات مسيحية وإقامة أبنية متعددة بنماذج عمرانية أوروبية وإسلامية.

تلعب الطبيعة الجغرافية دوراً كبيراً في تحديد طراز النمط المعماري للمشاريع العمرانية في الناصرة وتتأثر هذه المشاريع لطبيعة النشاط الاقتصادي الممارس. وكانت هذه المشاريع مبنية من الحجارة البيضاء والكلس (الجير) وسقوفها مغطاة بقرميد أحمر مستورد من مرسيليا الذي بدأ استعماله عام 1831م، وما واكب ذلك من تغريب بعض العناصر المعمارية والزخرفية. وهذا يشير إلى التطور المعماري والاقتصادي والاجتماعي. واستخدم سكان الناصرة مواد البناء التي وفرتها لهم الطبيعة وكانت تتكون من الحجر الكلسي الأبيض اللين، والذي يقتطع من الجبال الصخرية والكلسية المحيطة بالناصرة، ومادة الكلس والطين المخلوط بالقش لزيادة صلابة البناء وتماسكه. (Cunningham, 1824) كما أظهرت السجلات الشرعية أن مكونات الدور والبيوت لحارات الناصرة من المؤن (الطين المخلوط بالرماد والفحم والأحجار)، وأسقف البيوت تغطي بالخشب ويلبها طبقة من الطين المخلوط بالتبن للربط بين الحجارة، ثم تقصر هذه الجدران بطبقة من الشيد الأبيض. (سجل محكمة الناصرة الشرعية، 1293هـ/ 1877م)

بدأ النشاط العمراني بالنمو في الناصرة نظراً لأهميتها الدينية وحركة الحجاج المسيحيين الوافدين إليها واستقرار عائلات عديدة فيها، منهم المسلمين والمسيحيين. وطريقة تخطيطها وتوزيع معالمها العمرانية مثل: الحارات، الأسواق، الأماكن الدينية، الخانات، المستشفيات والمدارس.

رابعاً: أهم المعالم العمرانية في مدينة الناصرة:

كنيسة المجمع (الروم الملكيين الكاثوليك) "The Synagogue":

تقع كنيسة المجمع في مركز الناصرة وسط أسواقها (سوق الخواجات)، وهي عبارة عن هيكل قاعة واحدة صغيرة وبسيطة، وهو المكان الذي دخله السيد المسيح ليعلم فيه لأهل وطنه أنه المسيح ورفضوه فيه، وأن السيد المسيح تعلم وصلّى فيه.

عند مدخل الكنيسة تجدد بوابة كبيرة على جانبيها قطعتي عمود من الجرانيت الأسمر، وإذا دخلت منها تجدد درجاً عن يمينك يصعد إلى الأمطوش مسكن خوري الطائفة. ويقابلك باب الكنيسة الجديدة وعن شمالك باب المجمع المذكور، تنزل إليه بوضع درجات فتجد نفسك في عقد من نوع العقد المعروف بالأنبوب طوله 30 قدماً وعرضه 26 قدماً. ويقابلك أبواب ثلاثة هياكل حسب نظام الكنائس الشرقية، وله باب آخر إلى الشرق وبجوار هذه الكنيسة دكاكين وقفاها وخان الكاثوليك. (منصور، 1924) داخل الكنيسة قاعة واحدة، وبها مذبح مصنوع من الرخام، ومن وراء المذبح صليب. وهناك أقبية تؤدي إلى فناء، وأحد الأعمدة أُدججت في مبنى الذي بناه الصليبيون لكنيسة المجمع في القرن الثاني عشر الميلادي. وكانت الكنيسة تحت سيطرة الفرنسيين حتى القرن الثامن عشر الميلادي، حيث تم نقل ملكيتها إلى الكنيسة الكاثوليكية اليونانية بأمر الشيخ ظاهر العمر الزيداني.

كما تم تجديد وتوسيع الكنيسة بعد إضافة قطعة أرض تم شراؤها، ليكون طولها 25 ذراعاً وعرضها 20 ذراعاً وارتفاعها 12 ذراعاً، بعد زيادة عدد نفوس هذه الطائفة في الناصرة سنة 1886م إلى 318 شخصاً. (ب.م، 1998)

كنيسة البشارة للروم الأرثوذكس (كنيسة الملاك جبرائيل):

سكن الناصرة المسيحيون زمن الملك قسطنطين في القرن الرابع الميلادي. وشيدت فيها زوجته الملكة هيلانة كنيستين إحداهما في موضع بشارة العذراء، وهي من أقدم كنائس سورية بعد كنيسة القبر المقدس في القدس. والثانية في محل تربية المخلص. وفي سنة 1109م صارت الناصرة كرسي أسقف، وفي سنة 1140م التأم فيها مجمع لإقامة البابا إسكندر الثالث في رومية، وحاصرها الصليبيون. زارها لويس ملك فرنسا سنة 1251م ودخل الكنيسة، ودمرها السلطان بيبرس البندقداري سنة 1263م، ثم دمرها السلطان خليل بن قلاوون سنة 1291م. وفي النصف الأول من القرن السادس عشر رحل إلى الناصرة اثنان من بني معلوف وسكنا بالقرب من الكنيسة بعد أن استأذنوا الأمير فخر الدين المعني سنة 1620م، أن يسمح لهم بترميمها، وكان فيها عمودان ضخمان أحدهما مكسور عند وسطه. واستولوا على المغارة التي بشرفيها الملاك جبرائيل العذراء وهي تستقي من العين، وبنوا لها درجاً، وتقربوا من الشيخ ظاهر العمر الزيداني وفوض إليهم بناء كنيسة البشارة على أطلال الكنيسة التي بنتها الملكة هيلانة، وذلك ببراءة سلطانية من الشيخ ظاهر العمر. وشرع الكاهن بالبناء وجلب الماء بموجب قناة تمتد مسافة أربعين متراً عن الكنيسة، وهذه القناة تصب في بئر مغارة البشارة وتخرج منه متوجهة إلى العين، (Alexandre, 2012) وفوق هذه البئر توجد المغارة التي في داخلها قائمة مائدة لأجل تكميل الأسرار الإلهية. (المعلوف، 1907)

جرى توسيع الكنيسة بإضافة ثمانية أمتار على العرض ليصبح 23 متراً والطول 29 متراً والارتفاع 12 متراً، بعد الزيادة في عدد نفوس الطائفة البالغة 2295 شخصاً سنة 1900م. (ب.م، 1998)

كنيسة البشارة للاتين:

بُني في الموضع الذي يعتقد اللاتين أنه بيت العذراء وهو بيت صغير مسقوف بالخشب ومطين بالطين مسند إلى صخر فيه باب مغارة منقورة في ذلك الصخر وهو الآن كنيسة. (منصور، 1924) حيث ظهر لها الملاك جبرائيل مبشراً إياها بالحبل يسوع. كانت توجد في المدخل الجنوبي للمدينة وسط ساحة مربعة الزوايا ومحاطة بجدران متينة مانعة، وأقيمت من جديد سنة 1072م، ومنظرها جميل جداً من الخارج. أما داخلها فلا تسل عن جمالها فإن الناظر إليها يتعجب من تلك الزخرفة والتماثيل والزهور والصور وهلم جرا من أنواع الزخرفة المستعملة في هياكل اللاتين التي لا تخف عن كل واحد في كنائسهم.

أشهر موضع مقدس في دير اللاتين هو المغارة التي كانت ساكنة فيها والدة الإله الموجودة تحت وسط نفس الهيكل الشهير. وهذه المغارة تمتد من الجنوب إلى الشمال وقائمة من ثلاث قلايا صغيرة. (سمارة، 1899) ويدخل المغارة بدرج الرخام الأبيض من جهة الهيكل الشمالية، فالقسم الأول منها الممتد من الجنوب إلى الشمال يؤلف قلاية تدعى باسم "قلاية الملاك جبرائيل"، وفي داخل هذه القلاية يوجد مائدتان صغيرتان الواحدة قائمة في الجهة الشرقية منها على اسم القديسين يواكيم وحنة والدي والدة الإله، والثانية في الجهة الغربية منها على اسم الملاك جبرائيل، ومن بين هاتين المائدتين يدخل إلى القسم الثاني من المغارة الكبيرة الذي يؤلف قلاية والدة الإله مريم العذراء، وتحت سقف هذه المغارة قائمة مائدة توجد عليها كتابة لاتينية: "هنا الكلمة صار جسداً". وحول المائدة يوجد عدة قناديل غالية الثمن التي تضيء السقف دائماً، وفي سقف هذه المغارة معلق عدة ثريات من بلور. وفوق المائدة يوجد تمثال جميل جداً كتمثال الهيكل من الداخل.

جامع الناصرة (الجامع الشريف):

يعتبر جامع الناصرة (المعروف بالجامع الأبيض)، (سجل محكمة الناصرة الشرعية، 1302هـ/1885م) من المرافق الدينية المهمة في مدينة الناصرة، ومن أهم المظاهر العمرانية التي تعتبر روح وجوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة. وكان الجامع من أبرز مميزات المدينة التي تجلت فيها المعالم الأثرية والمظاهر العمرانية العثمانية باعتبارها مكاناً للعبادة والتعلم والثقافة الدينية.

يتكون الجامع من مبنى بسيط يحيط بساحة مفتوحة مستطيلة الشكل، مع ترتيب داخلي من الأعمدة، حيث تقام فيه الصلوات اليومية لله تعالى وتلقى فيه الخطبة يوم الجمعة، وفي وسطه الفناء أو صحن الجامع يتوسطه ينبوع ماء للوضوء ومئذنة طويلة تنتهي بهلال بارز بُنيت على الطراز العثماني. وقبة تسندها أكتاف وفي الداخل صحن الجامع الذي يحتوي على المحراب المتجه نحو القبلة (مكة المكرمة)، ويرتكز على ستة أعمدة مربعة، والمنبر على يمين المحراب حيث يُخطب الخطيب في المصلين وللجامع بابان أحدهما من جهة الشمال والآخر من جهة الشرق (Baedeker, 1876).

أظهرت الرسومات المنقولة للناصرية منذ بداية العهد العثماني (1517م)، للرحالة الأوروبيين على وجود جامع وسط البلدة. كما أظهرت المعطيات التي وردت في دفاتر الطابو العثمانية خلال القرن السادس عشر لقرية الناصرة، وجود 43 خانة (215 نسمة) مسلمة سنة 1525م، ارتفع هذا العدد سنة 1539م إلى 95 خانة مسلمة و6 خانة نصارى وإمام واحد. وفي سنة 1555م ارتفع العدد إلى 200 خانة مسلمة و17 خانة نصارى و11 مجرد (أعزب)، و1 مؤذن، وخطيب (Lewes, 1976).

مما يلفت النظر في هذه المعطيات، وجود وظائف دينية: مؤذن، إمام وخطيب. وهذا يدل على وجود جامع في الناصرة، وكما أظهرته رسومات الرحالة الأوروبيين، أن الناصرة كانت بلدة مسلمة ضمت جامع يعود إلى العهد المملوكي وتبدو مئذنته طويلة ومربعة ذات طراز معماري مملوكي. كما ظهر في رسومات الرحالة (أوجيني روجرز) سنة 1535م، 1631م صورة الجامع ومأذنته العالية تنتصب إلى غرب كنيسة مار يوسف بخمسین خطوة.

تجدر الإشارة أن وجود جامع الناصرة يرجع إلى بداية العهد العثماني، ومر بمراحل متعددة من حيث إعادة البناء أو الترميم نتيجة الظروف الطبيعية التي مرت بها الناصرة مثل: الزلازل، الأمطار الغزيرة والسيول. أهمل الجامع خلال فترة ظاهر العمر الزيداني، وكان المسلمون يصلون في أحد بيوته. بعد تسلم أحمد باشا الجزائر الحكم، طلب من الشيخ أحمد بن محمد النيني الشافعي بأن يستوطن في الناصرة، وعيّن قاضياً لمحكمة الناصرة الشرعية سنة 1776م. (سجل محكمة الناصرة الشرعية، 1291هـ/1874م)

ما قام به أحمد باشا الجزائر وخلفائه من بعده واهتمامهم برفع مكانة الناصرة عمرانياً واقتصادياً ودينيّاً، ساهم في ترميم وتوسيع الجامع، وولى عليه سليمان باشا العادل الشيخ عبد الله الفاهوم قاضياً وناظراً ومشرفاً على المؤسسات الإسلامية في الناصرة. (رستم، 1987) وشهدت الناصرة زمن سليمان باشا العادل نمو وتطور عمراني وزيادة عدد سكانها.

أشار اسعد منصور في كتابه "تاريخ الناصرة" (منصور، 1924) وبناءً على قراءته أن الجامع بُني سنة 1805-1808م، وفي سجل محكمة الناصرة الشرعية ذُكر أن الجامع وأوقافه كانت بيد الحاج أحمد المشهور بالمعماري متولي وقف زاوية أبي مدين الغوث بالناصرية، الذي تولى الإشراف المباشر على الوقف وعمارته وعلى مصالح الزاوية المذكورة (سجل محكمة القدس الشرعية، 1274هـ/1857م) الذي توفي قبل عام 1808م، ثم استلم من بعده الحاج قدورة. وهذا يشير أن الجامع وأوقافه أنشئت قبل فترة سليمان باشا العادل. ومن مطالعة سجل محكمة الناصرة الشرعية ليستطيع الدارس تحديد أوقاف الناصرة ويتضح أنها اشتملت على بيوت ودور ودكاكين وأراضي وخان.

سرايا ظاهر العمر الزيداني:

بنى الشيخ ظاهر العمر الزيداني سرايا عظيمة في الطرف الشرقي من الناصرة سنة 1730م، مؤلفة من عدة بيوت على قطعة الأرض ملك أسعد العباس الظاهر. ويعد أحد أهم المباني التاريخية في الناصرة خلال العهد العثماني، ويحمل المبنى الكثير من القيم التاريخية وانماط معمارية مختلفة. تشرف السرايا على سهول مرج بني عامر ولمراقبة تحركات أهالي جبل نابلس، والعشائر البدوية ليسيطر ظاهر العمر على طرق المواصلات والنقل والتجارة، التي مرت من منطقة المرج. كما استخدم ظاهر العمر سرايا الناصرة موقراً لحكمه وسكناً لزوجته، وكان يقيم فيها شهرين أو ثلاثة للراحة وإدارة أمور حكمه. ولما لم يكن لمسلمي الناصرة جامع يقيمون فيه فروض العبادة فقد أذن ظاهر العمر للمسلمين بالصلاة في أحد بيوت السرايا والتأذين على سطحه. وخلال القرن التاسع عشر خصصت الحكومة العثمانية الأقسام الغربية والشرقية منها لسكن أسعد بن عباس الظاهر وأخيه حسين، ثم استقل بها عمر أسعد العباس وبعض اخوته وأنشأوا عليها الأبنية الحالية المحيطة بالجامع. وأما القسم الشمالي من السرايا فقد أعد لعمل قائمقام الناصرة، وفي سنة 1857م كان خراباً، ثم أنشأت الحكومة العثمانية عليه سجناً ودار للحكومة، ثم أصبحت مقر لبلدية الناصرة. (Mariti, 1792)

يتكون مبنى السرايا من طابقين تربط بينهما أدراج حجرية. القسم السفلي يتكون من عدة عقود مصلبة، والقسم العلوي من عقود انبوية أسقف الطابق العلوي مكون من جسور خشبية تعلوها عوارض خشبية فوقها طبقة من الكلس، وجدرانها بسمك 1.5 متر وذلك لأسباب أمنية. وقد بُني سنة 1870م، خلال فترة القائمقام محمد الصلاح، (منصور، 1924) والوراق عقوده ذات أقواس نصف دائرية. وأمام السرايا ساحة مبلطة بالحجر. وقام عباس الظاهر بإجراء إضافات على السرايا في القسم الجنوبي. فقد شُيّد البرج فوق مبنى السرايا سنة 1904م احتفاءً باليوبيل الخامس والعشرين لاعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني للعرش. وكان برجاً متواضعاً مقارنة بباقي الأبراج في القدس، يافا، نابلس، حيفا وصفد، ولم تثبت فيه ساعة. البرج مبني بالطراز الكلاسيكي حيث يدمج بين النمط العثماني وانماط أوروبية تقليدية مختلفة. وقد نقش على البرج شعار الدولة العثمانية وهو النجمة والهلال. (داود، 2018) ولم تحدث إضافات على السرايا حتى نهاية الدولة العثمانية سنة 1918م.

عُرف خان الناصرة التحتاني (سجل محكمة الناصرة الشرعية، 1244هـ/1828م) كمركز تجاري، وهو المكان لإيواء النزلاء الغرباء، وتخزين فيه البضائع، أو تباع فيه السلع والمحاصيل الزراعية، وتمارس به الحرف والمهن المختلفة. (صباغ، 2009) ويعد الخان التحتاني من أقدم خانات الناصرة أُقيم أو رُمم قبل العهد العثماني، وذلك من خلال رسومات الرحالة الأوروبيين التي تشير لوجود خان في الطرف الجنوبي للناصر سنة 1664م. يقع عند مدخل الناصرة الجنوبي مقابل مقام شهاب الدين. تميز بنيانه المعماري بالشكل الرباعي في غالب الأحيان، وفي بعضها الآخر يتخذ الشكل المستطيل. ويتكون من ساحة كبيرة مكشوفة ومحيط بها عدد من المخازن والدكاكين لخزن وبيع البضائع، وتفتح أبوابه إلى جهة الساحة فقط، وفي الطبقة العلوية أُقيمت الغرف لإيواء وراحة التجار والمسافرين والأعيان، وتفتح باب الغرف نحو الساحة الواسعة. كما يغطي سقف المخازن والدكاكين بالقباب للمحافظة على البضائع والسلع من التلف نتيجة العوامل الجوية في الصيف أو الشتاء. (ريعون، 2005)

جاء تصميم الخان المعماري على نسق تخطيطي كالتالي: مخازن تقع على محيط ساحة مربعة ذات طابق أو طابقين تحت ويعلى غرف ونوافذ لتأدية الأغراض التجارية نفسها. لذا كان الخان أشبه بالحصن الصغير من أجل المحافظة على سلامة التجار والنزلاء وبضائعهم من الاعتداء وتجعلهم في مأمن فيكون الخان قد حاز على الدور الأهم في المجال الاقتصادي والتجاري في المدينة. (ريعون، 2005)

استخدم الخان التحتاني أواخر العهد العثماني "سجن الديوان العربي" وكان على بابه لوحة كتب عليها بالألمانية "الآخور الألماني" أي بيت الدواب. سجن فيه نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل، حيث أُدخل من خوخة (الباب الصغير) بوابة الخان،

ومشى تحت عقد إلى فناء. وكان الخان عبارة عن غرف أرضية كانت تستعمل أواخر لخيول وحيوانات المسافرين وغرف علوية كان يستأجرها أصحاب الحيوانات والمسافرون ليناموا فيها. وقد حول الألمان هذا الخان إلى آخور، ثم تنازلوا عنه فحوّلته الحكومة إلى سجن. (نصار، 1981)

الاستنتاجات: Conclusion

اهتمت الدولة العثمانية بالموروث المعماري للناصره خلال العهد العثماني (1517 – 1918)، وكان لها دور واضح في تحديد المعالم التاريخية في المدينة، ويجب المحافظة عليه كتاريخ عربي عريق للناصره. فالدولة العثمانية تركت موروثاً معمارياً متمثلة في المباني والمنشآت والأماكن الدينية الإسلامية والمسيحية التي تم عرضها.

يتضح من ذلك أن مدينة الناصرة مليئة بالآثار الإسلامية والمسيحية التي تشهد على عروبة هذه المدينة، وأن نشاطها العمراني بدأ بالنمو نظراً لأهميتها الدينية وحركة الحجاج المسيحيين الوافدين إليها واستقرار عائلات فيها، منهم المسلمين والمسيحيين. عاشوا في حالة استقرار وانتعاش اقتصادي، انعكس ذلك على الموروث المعماري وتطور حضارة الناصرة من حيث مظهرها العمراني العام وطريقة تخطيطها وتوزيع معالمها العمرانية مثل: الحارات، البيوت، الأسواق، الدكاكين، المدارس، أماكن العبادة، الخانات، السرايا، الأديرة والمستشفيات.

يلاحظ من خلال ذلك أن عدد سكان الناصرة تضاعفوا خلال العهد العثماني عدة مرات، وزاد عدد المسيحيين عن المسلمين نتيجة الزيادة الطبيعية والهجرة المتواصلة من مدن بلاد الشام وباقي أنحاء الدولة العثمانية لأسباب اقتصادية ودينية. تشكل التركيب السكاني خلال العهد العثماني حصيلة الظروف التاريخية، السياسية والاقتصادية وله أثر واضح في ذلك حيث بدأ العديد من السكان وبدافع ذاتي، ديني أو أممي بالاستقرار وساهموا بإيجاد نهضة عمرانية موسعة في الناصرة.

التوصيات: Suggestion

- العمل على مساعدة أصحاب الأملاك العقارية في مدينة الناصرة والمهددة بالبيع أو الهدم نتيجة الإهمال بإجراء ترميمات لمعالم تراثية عثمانية.
- إعادة الدور الإداري الذي كانت تتمتع به الناصرة خلال العهد العثماني كمركز قضاء.
- الاهتمام بدراسة تاريخ الناصرة العثماني من خلال دعم ونشر كتب وأبحاث وإقامة مؤسسات وجمعيات تهتم بالتاريخ العثماني.
- العمل على إقامة مراكز لتعليم اللغة العثمانية حتى يستطيع الباحث ترجمة الوثائق التي دونت باللغة العثمانية.
- الدعوة إلى ضرورة إقامة مؤتمرات علمية والعمل على مساعدة الباحثين باستخدام الأرشيفات العثمانية، وإنشاء بنك معلومات لمواضيع التاريخ العثماني وتقديمها خدمة للباحثين والدارسين.

المصادر:

- سجل محكمة الناصرة الشرعية، مجلد (1)، 1291هـ / 1874م.
- سجل محكمة الناصرة الشرعية، مجلد (21)، 1302هـ / 1885م.
- سجل محكمة القدس الشرعية، مجلد (340)، ميكروفيلم 52، 1274هـ / 1857م.
- سمارة، حنا (1899)، مختصر تاريخ الناصرة، مخطوط في الجامعة الأردنية - ميكروفيلم رقم 699.
- Peterson, Andrew (2001), *A Gazetteer of Building in Muslim Palestine*, British, Oxford University Press.
- الدباغ، مصطفى (1974)، بلادنا فلسطين، عمان، الشركة الدولية للطباعة والنشر.
- الدباغ، مصطفى (1986)، القبائل العربية وسلاسلها في بلادنا فلسطين، ب.م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الطراونة، طه ثلجي (1982)، مملكة صفد في عهد المماليك، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة.
- البخيت، محمد عدنان والحمود، نوفان رجا (1989)، دفتر مفصل ناحية مرج بني عامر وتوابعها ولواحقها التي كانت في تصرف الأمير طره باي سنة 945هـ / 1538م، عمان، الجامعة الأردنية.
- Lewis, Bernard (1976), "Nazareth in Sixteenth Century According to Ottoman Tapu Registers", London,
- المعلوف، عيسى إسكندر (بلا سنة)، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، بيروت، المكتبة الكاثوليكية.
- الصباغ، ميخائيل (بلا سنة)، مخطوط في الجامعة الأردنية، ميكروفيلم رقم 1329.
- الوعري، نائلة (2014)، فلسطين في كتب الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر الهجري، عمان، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
- بلا مؤلف (2011)، الناصرة العثمانية في عيون غربية، ترجمة وتحرير هزاع أبو ربيع، الناصرة، الحكيم للطباعة والنشر.
- محاميد، عمر (1989)، صفحات من تاريخ الجمعية الروسية - الفلسطينية بين أعوام 1882 - 1914، فلسطين، مركز احياء التراث العربي.
- الصباغ، ليلي (1996)، فلسطين في مذكرات الفارس دارفيو، بيروت، المصادر.
- روجرز، ماري إليزا (2013)، الحياة في بيوت فلسطين 1855 - 1859، ترجمة جمال أبو غيدا، عمان، دار الفارس للنشر والتوزيع.
- رفيق بك، محمد وبهجت بك، محمد (1987)، ولاية بيروت القسم الجنوبي، بيروت، دار لحد خاطر.
- Cunningham, Geikie (1824), *Holy Land and the Bible*, London, James Clark.
- بدون مؤلف (1998)، الكنائس العربية في السجل الكنسي العثماني 1869 - 1922، جمع وترجمة وتحقيق عبد الرحيم أبو حسين وصالح سعداوي، عمان، المعهد الملكي للدراسات الدينية.
- رستم، اسد (1987)، الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، بيروت، منشورات المكتبة البوليسية.
- Mariti, Abbe (1792), *Travels Through Cyprus, Syria and Palestine with a General History of the Levant*, Dublin.
- بلان، مها وداود، اسعد (2018)، " سرايا الناصرة"، حجر الزاوية مجلة تعنى بالمواقع الأثرية والتراثية، العدد الأول.

الملاحق:

رسم للناصره منذ بداية العهد العثماني وتظهر المعالم العمرانية: عين العذراء، كنيسة الملاك جبرائيل، جامع الناصرة، كنيسة مار يوسف

خريطة تظهر موقع قضاء الناصرة

رسم للناصره عام 1677م، وتظهر فيه جامع الناصرة، عين العذراء، كنيسة الملاك جبرائيل، الخان.

رسم للشيخ ظاهر العمر الزيداني بريشة المرحوم المهندس زياد أبو السعود الزيداني

نموذج لطراز معماري في بناء الأقواس

كنيسة المجمع

كنيسة البشارة لروم الارثوذكس

كنيسة البشارة للاتين

جامع الناصرة (جامع شريف)

سرايا ظاهر العمر الزيداني

خان الناصرة التحتاني (المعروف بخان الباشا)

بوابة الحان (الآخور الألماني)

الناصره عام 1918